القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

د/فاتن بنت اللطيف العامر
أستاذ مساعد بكلية الآداب، جامعة الملك فيصل

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أما بعد...

يرجع انقلاب القيم عند الصعاليك لأسباب عدة، منها: الفقر الذي اضطر الصعاليك لقطع الطرق على الناس واعتبار ما يفعلونه شجاعة، ومنها: نبذ القبائل لهم بسبب أعمالهم المخالفة، ومنها: التفرقة العنصرية بسبب لون بعضهم الأسود، وغلظة الشفاه، والانتماء لأمٍ أجنبية.

وانقلاب القيم في أبسط تعريفٍ إجرائي له هو مخالفة النسق القيمي الشائع في البيئة العربية؛ فكان النسق يمجد البطولة والفروسية والشجاعة والشهامة وإعطاء الأمان للمارة وحمايتهم وإكرام الضيف، أما الصعاليك فاعتبروا الغارة والسلب والنهب بطولةً وشجاعةً وفروسيةً، وعدُّوا السلب وسيلةً للمساواة والعدل وإعطاء الفقراء حقوقهم المسلوبة منهم من الأغنياء.

والقيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر الجاهلي اختلفت عن القيم المقلوبة في العصر الأموي واستمر بعضها، واختلفت كذلك في العصر العباسي، لكنها ظلت مختلفةً عن القيم المجتمعية وفيها انقلاب ملحوظ.

ومعلوم أن موضوع الصعاليك وانتهاجهم طريقة السلب والنهب قد سبق تناوله من قبل الباحثين السابقين، ولكن هذا لا يمنع من قراءةٍ أخرى تهتم بزاوية الكشف عن القيم بوجهٍ عام عند الصعاليك ومخالفتها للقيم المجتمعية المعروفة.

وهذا الموضوع قد تم تدعيمه بالكثير من الأبيات الشعرية المأخوذة من الدواوين الموثقة.

فقد تناول البحث خمسة مباحث؛ هي: القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك تعريفها وسردها، ونماذج من القيم المقلوبة عند الصعاليك (الغارة)، والقيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر الأموي وصدر الإسلام، والقيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر العباسي، والأسلحة التي ساعدت الصعاليك فيما يقومون به وأسهمت في انقلاب قيمهم.

والله من وراء القصد

المبحث الأول
تعريف القيمة المقلوبة وأسبابها

عاش العرب في الجاهلية حياةً متقلبةً فيها من الأخلاق والقيم السامية ما فيها وفيها أيضًا من القيم والعادات البغيضة ما فيها، فكان لديهم العديد من القيم السامية كإكرام الضيف، والشجاعة، والفروسية، واحترام الكبير، وحب العمل، ونجدة الملهوف والوفاء بالعهود وغير ذلك من القيم الرفيعة، وعلى النقيض من ذلك كان لديهم العديد من القيم السيئة كالشرك، والظلم، والاستعباد، والكبر عند السادة، وواد البنات، فلما بُعِثَ النبي –صلى الله عليه وسلم– في شبه الجزيرة العربية بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فمن أهداف البعثة النبوية إتمام مكارم الأخلاق الموجودة في المجتمع وتقويم المعوج من الاعتقاد والسلوكيات[1] مصداقًا لقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: «**إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[2]، فالإسلام جاء مهذبًا للقيم الحميدة ورافضًا للقيم السيئة واضعًا لها الحلول.

بيد أن مفهوم القيم الحميدة حدث لها تغيّرٌ في فكر الشعراء الصعاليك، ووجدنا اختلافًا وانقلابًا للقيم عندهم.

المطلب الأول: معنى انقلاب القيم عند شعراء الصعاليك:

كانت حياة الصعاليك تغلب عليها الغزو والإغارة للسلب والنهب، لكن الصعاليك كانوا ينظرون إلى هذه الغزوات نظرة الأبطال فيتحدثون عنها في شعرهم حديث المؤمن بقيمتها في حياته[3]، المعجب بها وبقدرته على تخليص نفسه من الأخطاء والنجاة في وقتٍ عزت فيه النجاة، ويصف نفسه بالحزم والذكاء لأنه استعان بالحيلة في مواطن الخطر[4]، ومن مظاهر فخرهم بما يصنعون يصف كلٌّ منهم المغامرات التي يخوضها منذ أن تأخذ جماعة الصعاليك في وضع الخطة إلى أن تنتهي غارتهم ويعودون بما سلبوا بعد تحقيقهم لأهدافهم، وهم يصفون، في أثناء ذلك، الطريق الذي سلكوه ويتحدثون عن رفاق الغارة، وعن توزيع الأدوار بينهم، فلكلٍّ منهم دور، وكيف نفذ كلٌّ منهم دوره بشجاعة، وكيف نجحت خطتهم

(1) رسم الأهداف، أبو ذر عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرازق المحمدي، ص24، المكتبة الشاملة المعاصرة.
(2) أخرجه احمد 381/2، والبخاري في الأدب المفرد (273) بإسنادٍ صحيح.
(3) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د/ يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص182.
(4) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص186.

ووقعها في أعدائهم وآثارها البالغة، وكيف انتهت الغارة وعاد فتيان الصعاليك إلى قواعدهم سالمين بعد أن قتلوا وسلبوا ونهبوا[5].

فيذكر الشنفرى أنه خرج في غارةٍ ومعه جماعة من الصعاليك منهم عامر بن الأخنس وتأبط شرا والمسيِّب وعمرو بن براقة ومرة بن خليف يقصرون العوص وهم حي من بجيلة، فلما انتهت الغارة وهم عائدون في طريقهم اعترضت لهم خثعم ودارت بينهم معركة انتصر فيها الصعاليك، فإذا ما انتهت المعركة نظَّم الشنفرى شعره في أبياتٍ مشوقةٍ حدثنا فيها بدقةٍ وتفصيلٍ عن هذه المعركة بدايةً من إخباره لزوجته بخروجه غير مبالٍ بحياته وقيم المبالات وهو يعلم أن الموت حقيقة وأن أجله آتٍ لا محالة، فيقول [6]:

دَعيني وَقولي بَعدُ ما شِئتِ إِنَّني سَيُغدَى بِنَعشي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ

فهو يتحدث عن إخباره لزوجته بخروجه ويخبرها سريعًا ولا يكثر الحديث ولا يطيله لأنه متشوق لإدراك رفاقه وعنده لهفة شديدة وهذا الموقف لا يحتمل ريثًا ولا إبطاءً، فليترك امرأته بعد هذا القول الفاصل "دعيني وقولي بعد ما شئت"، وبعد هذا يذكر حجته القاطعة "إنني سيغدى بنعشي مرة فأغيب"، وليسرع إلى رفاقه في لهفةٍ شديدة، يمثلها انتقاله السريع من هذا الحديث إلى حديثه عن خروجهم في مغامرتهم ويذكر لنا أنهم كانوا ثمانية وقد خرجوا كالذئاب غير خائفين فيقول [7]:

خَرَجنا فَلَم نَعهد وَقَلَّت وَصاتُنا ثَمانِيَـــــتة ما بَعــدها مُتَعَتَّبُ
سَراحينُ فِتيانٍ كَأَنَّ وُجوهَهُم مَصابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ

ثم يذكر سيرهم مسرعين في طريقهم لا يوقفهم شيء حتى العطش، ثم ها هم بعد ثلاثة أيام يصلون إلى هدفهم يتقدمهم دليل خيف فارغ شجاع [8] فيقول:

نمُرُّ بِرَهْوِ الماء صَفْحاً وقد طوتْ ثمائلُنا والـــــــزَّادُ ظَــنٌّ مُغيَّبُ
ثلاثاً على الأقدام حـــتى سَمَا بِنَا على العَوْص شَعْشَاعٌ من القوم مِحْرَبُ

ثم يتحدث عن المعركة التي دارت قبيل الفجر مصورًا لها، وقام كل صعلوكٍ منهم بدوره فيها في بطولةٍ وشجاعة: فهذا تأبط شرا قد بدأ هجومه السريع بسيفه الذي يهتز في يده لسرعة ضرباته، وأما المسيَّب فقد أعمل فيهم سيفه في تصميمٍ لا يلين، وأما شاعرنا الشنفرى

([5]) المصدر السابق ، ص182.
([6]) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، طبعة بولاق، 215/18، 216.
([7]) ديوان الشنفرى: جمع وتحقيق وشرح دكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، ط2-1417ه 1996م، ص27.
([8]) المصدر السابق، ديوان الشنفري، ص27، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص183.

فقد وقف في شجاعةٍ وبطولةٍ للدفاع هو وجماعة من فتيان الصعاليك، وكانوا ثابتين حتى انتهت المعركة بانتصار الصعاليك بعد أن قتلوا جماعةً من أعدائهم وسلبوهم [9]، أما الأعداء فقد أصابهم الفزع والذعر والخوف، فيذكر ذلك قائلًا:

فَثاروا إِلَينا في السَوادِ فَهَجهَجوا وَصَوَّتَ فينا بِالصَباحِ المُثَوَّبُ
فَشَنَّ عَلَيهِم هَزَّةَ السَيــف ثابِتٌ وَصَمَّمَ فيهِم بِالحُسامِ المُسَيَّبُ
وَظِلتُ بِفِتيـــانٍ مَعي أَتَّقيـــهُمُ بِـهِنَّ قَليلاً ســـاعَةً ثُمَّ خُيِّبوا
وَقَد خَرَّ مِنهُم رَاجِـلانِ وَفـارِسٌ كَمِيٌّ صَرَعنـــاهُ وَخومٌ مُسَلَّبُ
يَشُنُّ إِلَيهِ كُلُّ ريـــــعٍ وَقَلـــعَةٍ ثَمانِيَةً وَالقَومُ رِجلٌ وَمِقنَبُ [10]

وها هو الشاعر قد انتهى من تصوير غارتهم الناجحة وقد عادوا منها سالمين يشعرون بالفخر والاعتزاز فيقول:

فلما رآنا قومنا قيل أفلحوا فقلنا اسألوا عن قائل لا يكذب

ويتحدثون عن ترصدهم لضحاياهم وارتقابهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم حديث الذي يملك الجرأة وقوة القلب، وهذه الأحاديث يُطلَق عليها شعر المراقب [11]، والمراقب عندهم عُني بها المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولا يرونهم، ويكثر "شعر المراقب" في أحاديث الصعاليك؛ فالمراقبة دائمًا منيعة أبيّة، وهم يتربصون فوقها والليل مقبل ليكون هذا أمعن في التخفي، وأدل على جراتهم وقوة قلوبهم [12]، فهذا الشاعر الصعلوك عمرو بن براقة يتحدث عن ذلك ويصف الصعاليك بأن نومهم قليل.

وأما تأبط شرًا فالمراقبة عنده ذات صورةٍ طريفة، فهي مراقبة تعلو سائر المراقب، كما أنها ذات تجاعيد فهي كالعجوز الشمطاء التي ترتدي ثيابًا بالية، ولكنه مع ذلك ما إن ينتصف الليل حتى ينهض إليها ليبدأ في تنفيذ خططه [13]، فيقول:

وَمَرقَبَةٍ يا أُمَّ عَـمرٍ طِمـــرَّةٍ مُذَبذَبَةٍ فَـوقَ المَراقِبِ عَيطَلِ

([9]) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص184.

([10]) هجهجوا: صاحوا، المثوب: الداعي المكرر الدعاء. الوخوم: الثقيل. الريع: المرتفع من الأرض، الرجل: الجماعة على أرجلهم. المقنب: الجماعة على الخيل-وقد خالفنا الأستاذ الميمني في شرحه البيت الأخير (انظر الطرائف الأدبية/ 33).

([11]) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص187، 188.

([12]) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص187، 188.

([13]) ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق: على ذي الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1-1404ه 1984م ص 181، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص189.

نَهَضتُ إِلَيها مِن جُثومٍ كَأَنَّها عَجوزٌ عَلَيها هِدمِلٌ ذاتُ خَيعَلِ

وكان الصعاليك يتخذون السلب والإغارة وسيلة للبذل والعطاء وإنصاف المحتاجين من أموال الأغنياء البخلاء، فكان كرمهم مما يغتنمونه من غزواتهم في أرجاء الصحراء المترامية الأرجاء [14].

وكانت الصحراء الواسعة ميدانًا لممارسة الإغارة وما يتبعها من أعمال التشرد حتى أن بعضهم ألفته الوحوش واستأنست به لكثرة العشرة والإقامة والصحبة والرفقة [15].

ومما سبق ذكره يتضح لنا معنى القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك، فالقيمة المقلوبة يمكن تعريفها إجرائيًّا بأنها: مخالفة النسق القيمي الشائع في البيئة العربية، فكان النسق يمجِّد البطولة والفروسية والشهامة وإعطاء الأمان للمارّة وحمايته وإكرام الضيف، أما الصعاليك فاعتبروا الغارة والسلب والنهب بطولة وشجاعة وفروسية، وعدّوا السلب وسيلةً للمساواة والعدل وإعطاء الفقراء حقوقهم المسلوبة منهم من الأغنياء، فالقيمة التي يعتبرها المجتمع سيئة ومعيوبة ينظرون إليها هم نظرة الاستحسان والفخر؛ إذ ينظرون إلى أعمال السلب والنهب التي يعيبها الناس، نظرة الشجاع الفخور بأعماله البطولية، وينظرون لما يسرقونه نظرة المنصف للفقير، وينظرون إلى التشرد حتى ألفة الوحوش لهم نظرة الإعجاب والاستحسان، وقد أشار تأبط شرًّا إلى هذا الأمر بقوله[16]:

يَبيتُ بِمَغنى الوَحشِ حَتّى أَلِفنَهُ وَيُصبِحُ لا يَحمي لَها الدَهرَ مَرتَعا
عَلى غِرَّةٍ أَو جَهلَةٍ مِـن مُكانِسٍ أَطالَ نِزالَ المَـوتِ حَتّى تَسَعسَعا
رَأَينَ فَتىً لا صَيدُ وَحـشٍ يُهِمُّهُ فَلَو صافَحَت إِنساً لَصافَحنَهُ مَعـا

المطلب الثاني: الأسباب التي دفعت لوجود القيم المقلوبة عند الصعاليك:

1- كانت الحياة في العصر الجاهلي في شبه الجزيرة العربية فيها عدد من الظواهر التي أثرت في تصرفات الصعاليك واقترافهم مثل هذه الأعمال، فعند النظر إلى أخبار هؤلاء الصعاليك نجدها حافلةً بالحديث عن فقرهم؛ فكل الصعاليك فقراء لا نستثني منهم أحدًا، ومنهم عروة بن الورد سيد الصعاليك، والذي تحدث كثيرًا في أشعاره عن فقره، ومعاناته من

([14]) الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، محمد رضا مروَّة، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط1، 1411هـ، 1990م، ص33.

([15]) المصدر السابق، الصعاليك في العصر الجاهلي، ص37.

([16]) ديوان تأبط شرا وأخباره، ص 115، وانظر: الصعاليك في العشر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، ص37.

الحرمان الشديد، وما يتكبده في سبيل الغنى من جهدٍ ومشقةٍ، وما يشعر به من ثقل التبعة التي يتحملها إزاء أهله، وإزاء أصحابه، الصعاليك أيضًا [17]، فيقول:

ذريني للغنى أســـــــعى، فإني رأيت النــاس شرهم الفقير [18]
فَسِرْ في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسارٍ أو تموت فتُعذَرَا [19]
ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومُقتِــرًا من المال يطرح نفسه كلَّ مطرحِ [20]

ولعل الجوع أقسى ما يحمله الفقر إلى جسد الفقير، والجوع –كما يقرر علماء الاجتماع– أول الدوافع المسيطرة على حياة الإنسان، والعرب منهم من كان يغير من أجل الحصول على الطعام [21]، وقد يشعر بعض الأفراد بنوع من الغبن والامتهان بسبب سوء حالتهم الاقتصادية، وضيق ذات أيديهم، بينما ينعم غيرهم بالعيش، فآلمهم أن يعيشوا في البؤس والحرمان وغيرهم يرتـع في الثراء وهم ليسوا أحق بالغنى منهم [22]. فالجوع إذا كان أقسى ما يصيبه الفقر من سياطٍ على جسد الفقير، فإن هناك سياطًا أخرى لا تقل قسوةً عن سياط الجوع، ولكنها سياط نفسية يصبها الفقر على نفس الفقير، وعلماء النفس المحدثون يحاولون الحديث عن العقد التي تصيب النفس البشرية ومن بينها عقدة يسمونها (عقدة الفقر) وهي تلك التي تتكون نتيجة الإحساس بالفقر، وتدفع صاحبها في محاولة التعويض عن الشعور بالنقص إلى العمل على أن يصير غنيًّا [23].

2– ومن العوامل التي أثرت أيضًا في حياة الصعاليك وشعرهم هو منزلتهم الاجتماعية، وعدم تقدير المجتمع لهم، وعجزهم عن أخذ حقوقهم بسبب ظلم المجتمع لهم، وفي ظل تجرد هؤلاء الفقراء من كل وسائل الحياة المشروعة، فإن أمرين أمامهم: **أولهما:** إقبالهم على هذه الحياة الذليلة المهينة في أطراف المجتمع البعيدة يخدمون الأغنياء أو ينتظرون فضل ثرائهم، أو يطلبون منهم في ذلةٍ ومهانة[24]، **وثانيهما:** حرصهم على حياةٍ

([17]) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص29.
([18]) ديوان عروة بن الورد، ص198.
([19]) المصدر السابق، ديوان عروة بن الورد، ص191.
([20]) المصدر السابق، ص99.
([21])الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،د/يوسف خليف، ص29.
([22]) التمرد في الشعر الجاهلي، د/السيد أحمد عمارة، مطابع غباشة، الطبعة الأولى ،1990م،ص 70.
([23]) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص31، 32.
([24]) المصدر السابق، ص33.

كريمةٍ بالقوة وبانتزاع لقمة العيش من أيدي من حرموهم منها باستخدام الوسائل المشروعة وغير المشروعة مثل النصب والإغارة[25].

فلم يكن إقبال الصعلوك على حياة الغزو غاية في حد ذاته بقدر ما كان وعيا شعوريا واضحا ولده إحساس بالغبن الاجتماعي.([26])

3–ومن العوامل أيضًا تمردهم على تقاليد القبيلة العمياء، وذلك لأنهم يمتلكون أنفسًا كبيرةً تكره الخنوع والاستكانة، فرفضوا الأعمال التي كان العبيد وأشباههم يقومون بها، ويأنف السادة من القيام بها، كخدمة الإبل [27]، ويصرّح تأبط شرًّا بترفعه على هذه الأعمال الفرعية وأنفته من القيام بها [28]:

وَلَسْتُ بِتِرْعِيّ طَوِيلٍ عَشَاؤُهُ يؤنّفُها مستأنفَ النَّبتِ مبهلُ [29]

فهم لا يرتضون لأنفسهم إلا تلك الأعمال الأساسية التي يقوم عليها المجتمع البدوي كالغزو والإغارة [30]، فيقول تأبط شرًّا:

متى تبغني مادمت حيا مسلما تجدني مع المسترعل المتعبهل

فهم يطلبون لأنفسهم مكان الأبطال، هذا المكان في الطليعة المتقدمة بين القادة والأبطال وليس وراء الإبل أو بين قطعان الغنم.

4– ومن العوامل التي أثرت في حياة الصعاليك وشعرهم وانقلاب القيم لديهم حبهم للكرم وإكرام ضيوفهم، وأشهرهم في هذا الأمر عروة بن الورد الذين قارنه عبد الملك بن مروان بحاتم الطائي، فقال: من زعم أن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد، فقد كان حبه للكرم دافعًا من دوافع ثروته الاقتصادية التي كانت تدفعه إلى مهاجمة الأغنياء البخلاء ليوزع ما يغنمه على الفقراء الذين كانوا يلتفون حوله [31].

ومادة هذا الكرم الذي يتصفون به هي ما يغنمونه من غزواتهم في أرجاء الجزيرة العربية، وغاراتهم على القبائل أو على القوافل التجارية أو على طبقة الأغنياء والبخلاء، فقد

([25]) الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، د/ محمد رضا مروَّة، ص32.
([26]) التمرد في الشعر الجاهلي ،د/ السيد أحمد عمارة،ص95
([27]) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د/ يوسف خليف، ص30.
([28]) ديوان تأبط شرا وأخباره، ص 176
([29]) لسان العرب: مادة (رعى)- الترعيّ: الذي يجيد رعية الإبل أو من صناعته وصناعة آبائه الرعي
([30]) ديوان تأبط شرا وأخباره ، ص178.
([31])الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص37، 38.

كانت هذه الغنائم تتيح لهم فرصة مهما كانت قصيرة لكي يتشبهوا بالسادة الأغنياء في البذل والعطاء واكتساب المحامد [32].

فكان الصعاليك يعدون نجاحهم في هذه الغزوات من السيادة والنبل، فالغزو والغارة والسلب والنهب عندهم ليس وسائل للغنى وجمع المال فحسب، بل هي وسائل للبذل والعطاء، واكتساب المحامد، والتشبه بالسادة الأغنياء في الكرم والجود فيصفُّون على المواقد الإبل التي نهبوها ليأكل منها اليتامى والأرامل، وفي هذا المعنى يقول عروة:

دَعـيني أُطَـوِّف في البِلادِ لَعَلَّني أُفيدُ غِنىً فيهِ لِذي الحَقِّ مُحمِلُ
أَلَـيسَ عَـظيماً أَن تُـلَـمَّ مُـلِمَّةٌ وَلَـيسَ عَلَينا في الحُقوقِ مُعَوَّلُ
فَإِن نَحنُ لَم نَمـلِك دِفاعاً بِحادِثٍ تُلِمُّ بِهِ الأَيّامُ فَالـمَوتُ أَجمَلُ [33]

5–ومن العوامل التي أثرت في انقلاب القيم عند شعراء الصعاليك اغترابهم لكونهم ضد أن يكون واحد منهم ممثلًا يؤدي ما رُسِمَ له من أدوارٍ وينفصل عن العالم بما فيه من قهرٍ وعشوائية، ويلجأ لداخل النفس ينشد السكينة والطمأنينة لينقذ نفسه من الضياع وينفصل عن ذاته للتناقض الذي يعيشه ويعاني منه.

فشكل شعر الصعاليك صرخة وجع تصف حاله ومخاوفه وهواجسه من المستقبل، صوت يصف لنا المنفى وصراع البقاء لتتولى الهموم عليه دون انقطاع، فرغم اصطباره إلا أن أنين الاغتراب والوحشة يظهر في قصائده. ([34]) فهذا الشنفري يعلن الانفصال عن قبيلته والبحث عن قوم آخرين، يقول:

أقيموا بني أمية صدور مطيَّكم فإني إلـــى قوم سواكم لأميـلُ
فقد حُمَّت الحاجات والليل مقمرٌ وشدَّت لطيَّات مطايا وأرحلُ ([35])

6–كان الموت عندهم يلقى المقيم عند أهله كما يلقاه البعيد عنهم سواءً بسواء، لذلك كان الموت في شعرهم عذبًا مستساغًا وهو الموت الذي يخشى منه الناس، وهذا ما نجده في شعر عمرو بن براقة الهمداني:

وَكَيفَ يَنـامُ اللَيلَ مَن جُلُّ هَمِّهِ حُسامٌ كَلَونِ المِلحِ أَبيَضُ صارِمُ
غَمُوضٌ إِذا عَضَّ الكَريهَةَ لَم يَدَع لَهُ طَمَعاً طَوعُ اليَمينِ مُلازِمُ [36]

([32]) المصدر السابق ،الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص38، 39.

([33]) ديوان عروة بن الورد، ص206.

(34) المضمرات النفسية والاجتماعية في شعر الصعاليك-تجربة الشنفري نموذجًا-، د. شريف سعاد، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد الرابع، العدد الأول، أبريل 2019م، ص88.

(35) ديوان الشنفري ، ص 58

(36) عمرو بن بَـرَّاقة الهمداني، سيرته وشعره: شريف راغب علاونة، دار المناهج، عمَّان، الأردن، ط1- 1424ه 2005م ص75، وانظر: الاتجاهات الفكرية في شعر الصعاليك، د/ عماد خليفة سليمان داود الداييني اليعقوبي. ص6

المبحث الثاني

دوافع القلب القيمي

ظاهرة الصعلكة نشأت –كما هو مقرر بين الباحثين– في العصر الجاهلي وامتدت إلى عدة عصور بعده، وكان لنشوئها أسباب عديدة، لعل أهمها ما كان يعانيه الصعالكة من صعوبة الحياة وشظف العيش، في الوقت الذي وجد في مجتمعهم عدد من أصحاب الثروات، وهذا الأمر جعلهم يشعرون بحنق شديد على الأغنياء وعلى أصحاب الأموال، ويعترضون على وضعهم الاجتماعي والمادي، ولم يكن الفقر وحده السبب الوحيد الذي جعل الصعاليك يقومون بأفعالهم بل الدافع الاجتماعي –كما سيأتي– كان له أكبر الأثر في نشأة الصعاليك، وكل تلك الظروف جعلت الصعاليك يقومون بالتمرد على واقع مجتمعهم، ويقومون بقطع الطرق والاستيلاء على القوافل وغيرها من الأفعال التي لاقت استهجانا في المجتمع، بينما عدها الصعاليك حقا لهم، وبالتالي قلبوا المفاهيم، فاعتبروا أن ما يقومون به حق مكتسب لهم، وأن ما يكتسبونه إنما هو غنيمة لهم تعبوا في تحصيلها.

وقد حاول الباحثون في الأدب العربي والتاريخ أن يجمعوا الأسباب التي دفعت الصعاليك للقيام بما يفعلونه وما يحللونه لأنفسهم، وإن جاءت عباراتهم مختلفة إلا أن معظم الباحثين يتفقون أن الدوافع إما مادية وإما معنوية، فالمادية تشمل ما يشعرون به من الجوع وشظف العيش وغير ذلك، والمعنوية تشمل النظرة الاجتماعية للصعاليك، ومحاولتهم إثبات قيمتهم في المجتمع، وعدم رضا النساء بالزواج منهم وغيرها من الأمور التي تجعلهم ينتقصون أنفسهم أو ينتقصهم غيرهم بسببها.

أولًا: الدافع المادي:

يعزى الدافع المادي في التصعلك إلى فقرهم الشديد وشعورهم بالجوع والمسغبة، ورغم ذلك فنفوسهم تأبى الطلب من أحد، أو الاستجداء وطلب المساعدة من غيرهم، وقد تمتعوا بلياقةٍ بدنيةٍ عالية، وكان الفقراء مضطهدون، وكانوا يشعرون بنبذهم من المجتمع ويرون

ضرورة جلب المال والتماس جوانب الغنى أينما كانت فهامهم فقراء يرون أنهم ذوو عيال، وهذا عروة بن الورد يخاطب زوجته قائلًا [37]:

دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ

لقد التمس المحللون العذر للصعاليك إذ يرون أن الجوع أول الدوافع المسيطرة على حياة الإنسان، وأن الصعلوك ليس له دافع كبير في الصعلكة أكبر من الجوع، الذي دفعهم إلى أن يقوموا بالغارات والسلب والنهب والاعتداء على القوافل، فكان عدد من المحللين يمتدحون الصعلوك القوي الذي ينقض على أعدائه ويقتلهم بهم ويأخذ منهم الغنائم، وينتهز الفرص التي تهيأ له، وأصحاب هذا الاتجاه يلومون الصعلوك المتسكع حول موائد غيره يرتجي عنده فضلات من طعامٍ أو قطعة لحم، فيهم الفرصة، وهذه وإن كانت صفة سيئة في الإنسان –العجز والكسل– وهي التي تجعله عالة على غيره، فإنها في الصعلوك أشد سوءا؛ لأنه لا يمكنه العيش إلا إذا نفض عن نفسه غبار العجز والكسل وألا يصبح يحث عن جنبيه الحصى في كسلٍ وعجزٍ ولا يفكر إلا في قوت بطنه، فيقول عروة بن الورد رافضا هذا الأمر [38]:

لَحَى الله صَعْلُوكاً إذَا جَنَّ ليلُهُ مصافي المشاش آلفاً كل مجزر
يَعُدُّ الغِنى مِن نَفسِهِ كُلَّ لَيلَةٍ أَصابَ قِراها مِن صَديقٍ مُيَسَّرِ
يَنامُ عِشاءً ثُمَّ يُصبِحُ ناعِساً يَحُتُّ الحَصى عَن جَنبِهِ المُتَعَفِّرِ
قَليلُ اِلتِماسِ الزادِ إِلّا لِنَفسِهِ إِذا هُوَ أَمسى كَالعَريشِ المُجَوَّرِ
يُعَينُ نساءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ ويمسي طليحاً كالبعير المسحر
ولكن صعلوكاً صفيحة وجهه كَضَوْءِ شِهَابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ
مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر

والصعلوك جسديًّا هزيل الجسم، لكنه كريم النفس شديد السطوة، والصعاليك سراع كالشنفرى الذي يعادل وقع قدمه على الأرض مشي ذكر النعامة إلى أولاده، فيقول:

أرى قدميَّ وقعهما خفيف كتحليل الظليم حدا رئاله [39]

([37]) ديوان عروة بن الورد ،ص68، وانظر: ديوانا عروة والسموأل، دار صادر، بيروت، ط1-1402ه 1982م، ص22،44،45 بالترتيب، والشعراء الصعاليك، د/ يوسف خليف، ص29.

([38]) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ط1- ١٤٢٣ه، 665/2.

([39]) ديوان تأبط شرًا، ص 198.

وبِعَدْوِهم ضُرِبَ المثل فقيل: "أعدى من الشنفرى"، و"أعدى من السليك"، ويعد السليك أيضًا من عدَّائي العرب، الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل ومعه الصعلوك تأبط شرًّا، والشنفرى، وعمرو بن براق الذي له في عدوه ثلاثة أطلاق، الأولى كالريح الهابة، والثانية كالفرس الجواد، والثالثة يكبو ويتعثر، ويقال مثله عن سرعة حاجز الأسدي ممن كان يسبق الخيل [40]، فأصغ إليه وهو يعتز بسرعته في فراره على رجليه، فيفدي رجليه أمه وخالته لأنهما سبب نجاته فيقول:

فِدىً لَكُما رِجلَيَّ أُمّي وَخالَتي غَداةَ الكُلابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوابِرُ
نَجَوتُ نَجاءً لَم يَرَ النّاسُ مِثلَهُ كَأَنّي عُقابٌ عِندَ تَيمَنَ كاسِرُ

ويعتبر الصعاليك أن قدرتهم على قطع الطريق يمثل شدة العزيمة وقوة المراس والقدرة على القتال في أشد الظروف وأن ما يأخذونه حق مكتسب لهم وأنه جزء من الحقوق المسلوبة منهم.

ثانيًا: الدافع المعنوي:

لقد شكلت الدوافع المعنوية لدى الصعاليك عاملا مهما في احترافهم للصعلكة، وكان السر الذي أعطاهم القوة التي جعلتهم يقومون بأفعالهم سر معنوي، حيث إن ما امتلكوه من شجاعة وصبر ورباطة جأش وقدرة نفسية على الكر والفر كان السر في تلك القوة التي امتلكوها، بل إنهم ما مدحوا القوي فيهم إلا من يملك مثل تلك الصفات، فهذا أبو خراش الهذلي يخاطب زوجته [41]:

فإن تزعمي أني جبنت فإنني أفر وأرمـــي مـرة كـل ذلك
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا وأنجو إذا ما خفت بعض المهالك

ويعد الفقر سببًا مؤديًا إلى صراعهم مع زوجاتهم لفقرهم واعتراض بعضهن على التصعلك مثل عروة بن الورد الذي ينازعه منزعان: نفسي داخلي، ونفسي خارجي من زوجته [42]، والنتيجة أنه حسمهما بقرار التصعلك؛ فيقول [43]:

([40]) المفضليات، الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6- 1964م، ص165، وانظر: الغارة عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية، ص61.

([41]) انظر: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم) تحقيق وتعليق: السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1- 1965م، 304/2.

([42]) الأشباه والنظائر، 51/1.

([43]) ديوانا عروة والسموأل، مصدر سابق، ص19.

فلَلمَوتُ خيرٌ للفَتى منْ حَياتِهِ فقيراً، ومن موْلًى تدِبُّ عقارِبُهْ
وسائلةٍ: أينَ الرّحيلُ؟ وسائِلٍ ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه

ومن الدوافع المعنوية الطمع في الغنى أو الرغبة في تحقيق الاكتفاء الذاتي، حتى ووصل الحال بالبعض من الصعاليك أن زوجته هي من تشجعه على التصعلك، ومن تلك النساء: تماضر زوجة عروة بن الورد وكانت تدعوه إلى المخاطرة حتى يصيب الغنائم التي يقتاتون منها، حيث ترى تماضر أن القعود مع العيال أمرٌ غير مستحب، وأن التصعلك من باب السعي على الرزق وجلب المال.

كما أن من دوافعهم المعنوية إهانتهم وإذلالهم من قبل سادتهم ورغبتهم في الانتقام كما حدث مع الشنفري الذي لطمته بنت سيده لطمةً أهانته إهانةً شديدة، وكانت تلك الإهانات تمثل عاملا نفسيا مهما لدى الصعاليك، فهذا عروة بن الورد يعاني من تلك الإهانة ويدافع عن أمه اليمانية فيقول [44]:

هم عيَّروني أن أمي غريبة وهل في كريمٍ ماجد ما يعير

ومن الإهانات التي كانوا يواجهونها وصفهم بسواد اللون، وكان لهذا الأمر دور بارز في تهييج وإثارة الانفعالات النفسية، رغم أن عددا منهم كان أسود اللون إلا أنهم يكرهون أن يصمهم أحد بذلك، فالشاعر تأبط ضرًّا أسود اللون، وكذلك السليك، أما الشنفري فغليظ الشفاة [45]، فأدى ذلك إلى شعورهم بالعزلة النفسية ومنهم من اتخاذ الحيوانات المفترسة أهلًا له كالشنفرى؛ فيقول:

وَلي دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ
هُمُ الرَهطُ لا مُستَودَعُ السِرَّ ذائِعٌ لَدَيهِم وَلا الجاني بِما جَرَّ يُخذَلُ

وقد أشعره لونه بفاصلٍ منعه من الزواج بابنة سلامان التي كان عندها هجينًا فيقول [46]:

ولو علمت قعسوس أنساب والدي ووالدها ظلت تقاصر دونها
إذا ما أرومُ الـــودَّ بيني وبينها يؤمُّ بياضَ الوجه مني يمينها

([44]) المصدر السابق، ص40.
([45]) ديوان الشنفرى، مصدر سابق، ص59، وانظر: الغارة عند الشعراء الصعاليك، ص64.
([46]) ديوان الشنفرى، ص 100.

ألا ليت شـــعري والتلهف ضلـة بما ضربت كــف الفتاة هجينـها

وكان من أبرز المشاكل النفسية التي واجهت الصعاليك تردد النساء في الزواج بأي منهم، خاصة وقد اشتهر عنهم البخل والحرص على نفسه فقط، دون التفكير في غيره، ولذلك كانت النساء تكرههم لما فيهم من البخل والحرص على نفع نفسه والأنانيّة الشديدة، وقد حاول الصعاليك الخروج من تلك الصفات وأعلن في شعره إنكاره لها، فهذا عروة بن الورد يضمن شعره أبياتًا تدل على كرهه للبخلاء، فيقول [47]:

إنّـي امـرُؤٌ عافى إنائِيَ شِركَةٌ وَأنـتَ امرُؤٌ عافى إنائِـكَ واحِـدُ
أَتَهزَأُ مِنّي أَن سَمِنتَ وَأَن تَرى بِوَجهي شُحوبَ الحَقّ وَالحَقُّ جاهِدُ

وكذلك من الدوافع النفسية شعورهم أنهم غير مرغوب فيهم وفي حياتهم، فلا يبكي عليهم أحدٌ إذا ماتوا [48]، فيقول الشنفرى متحدثًا عن هذا الأمر:

إذا ما أَتَتني مِيتَتي لَم أُبالِها وَلَم تُذرِ خالاتي الدُموعَ وَعَمَّتي

([47]) ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص 61.
([48]) ديوان الشنفرى، ص 38، وانظر: الغارة عند الشعراء الصعاليك، ص65.

المبحث الثالث

القيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر الأموي وصدر الإسلام

لما انتشر الإسلام في جزيرة العرب وأشرقت الجزيرة العربية بنور ربها قلَّ عدد الشعراء الصعاليك قلةً ملحوظةً وتضاءل نشاطهم تضاؤلًا شديدًا، وذلك لأن الإسلام كفل للناس الحياة الكريمة ووضع قوانينًا تساوي بين الناس بأطيافهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [49]، وهدم النظام القبلي الجاهلي وما كان يقوم عليه من الفرقة والتناحر بين القبائل، وما انتشر فيه من تعصب كل قبيلةٍ لأبنائها وثورتها لدفع الأذى والمكروه عنهم، وأشاع فيهم فكرة الأمة الواحدة المتراحمة التي لم تعد الرابطة القبلية هي التي تجمع شملها، وبذلك ألغى الإسلام العوامل التي أدت في الجاهلية إلى نشأة الصعاليك وحملتهم على التمرد والثورة[50]، وقد مضى الخلفاء يستنيرون بهذه التعاليم النبيلة وينفذونها تنفيذًا دقيقًا.

وقد أرسى الإسلام مجموعةً من القواعد الاجتماعية التي تضمن للفرد حياةً كريمةً فاضلةً ووضع حدودًا لضبط الأمن ومنع الفوضى والقضاء على الفساد والانحراف، وحرص الإسلام على تنظيم الميراث والمعاملات تنظيمًا دقيقًا[51]، وجعل الزكاة واجبةً على الأغنياء وحقٌّ للفقراء والمحتاجين، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [52].

وأصبح الخليفة وأولو الأمر مسئولين عن تأديب المنحرفين وإنزال العقاب بهم، ولهم الحق في ذلك، فكل مذنبٍ له عقوبته على قدر ذنبه؛ فالقتل عقابه القتل، والسرقة عقابها قطع اليد، وقطع الطريق وإشهار السلاح وترويع الناس له أشد العقاب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ

([49]) سورة الحجرات، الآية: 13.
([50]) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، الدكتور حسن عطوان، دار المعارف، القاهرة، مصر- 1970م، ص12: 13.
([51]) العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف، ص20.
([52]) سورة التوبة، الآية 60.

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [53].

أولًا: اختفاء بعض القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك المخضرمين:

لم يعش من الصعاليك الجاهليين إلا خمسة، هم الذين امتد به العمر حتى أدركوا الإسلام، وهم: أبو خراش الهذلي، وجُرَيبَة بن الأشيم، وفرعان بن الأعرف، وفضالة بن شريك، وأبو الطمحان القيني. وعلى قلة ما بين أيدينا من أخبار الشعراء الصعاليك المخضرمين وأشعارهم في الشطر الثاني من حياتهم فإننا نستطيع أن نرى بوضوحٍ عند نفرٍ منهم تأثرهم بالإسلام والتزاهم بتعاليمه، فتوقف بعضهم عن الغارات وقطع الطرق التي وسموها بالشجاعة واسترداد الحق قبل ذلك، وركنوا إلى الهدوء وابتعدوا عن حياة التمرد والثورة، فهم مؤمنون بأن الحياة الماضية قد انتهت، وأن عهد الظلم والتفرقة قد ولَّى[54]، ومن هؤلاء الشاعر الصعلوك أبو خراش الهذلي، الذي كان في الشطر الأول من حياته في العصر الجاهلي نشيطًا في تصعلكه، وقد سجل في شعره خروجه للغارات وتربصه بالقوافل مبررًا هذا الأمر بأنهم أصحاب قيم ويرفضون حياة الذل والعبودية فيصف رفيقًا من رفقائه، وهو من الصعاليك الأشداء الأقوياء، فمن كانوا يرفضون حياة العبودية والذل وقد اجتمعا في مرقبةٍ خفيةٍ بالجبل يتربصان القوافل والناس استعدادًا للغزو؛ فيقول:

لست لمرة إن لم أوف مرقبة ... يبدو لي الحرف منها والمقاضيب
في ذات ريد كذلق الفأس مشرفة ... طريقها سرب بالناس دعبوب
لم يبق من عرشها إلا دعامتها ... جذلان: منهدم منها ومنصوب
بصاحب لا تنال الدهر غرته ... إذا افتلى الهدف القن المعازيب
بغثته بسواد الليل يرقبني ... إذ آثر النوم والدفء المناجيب [55]

وكذلك كان يتحدث عن تصعلكه وأفعاله حديث الحر الذي لا يقبل الضيم، صاحب النفس المستعلية على الحرمان والهوان التي تصير على المسغبة مع العزة والإباء، يصف نفسه بأنه ينفر من الغنى مع الذل والظلم؛ فيقول:

وَإِنّي لَأُثوى الجوعَ حَتّى يَمَلَّني ... فَيَذْهَبَ لَم يَدنَس ثِيابي وَلا جِرمي

([53]) سورة المائدة، الآية: 33.

([54]) الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم، إعداد محمد رضا مروَّة، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1- 1411هـ، 1990م، ص15، 16.

([55]) ديوان الهذليين، مصدر سابق، 159/2 وما بعدها، وانظر: الغارة عند الشعراء الصعاليك، ص65.

وَأَغتَبِق الـــماءَ الـقَراحَ فَـأَنتَهى إذا الـزادَ أَمسى لِلمُـزَلَّـجِ ذا طَعمِ
أَرُدُّ شُجـاعَ البَــطنِ قَد تَعلَمينَهُ وَأوثِـرُ غَيــري مِن عِيالِكِ بِالطُعمِ
مَـخـافَـةَ أَن أَحيا بِـــرَغمٍ وَذِلَّةٍ وَلَلمَوتُ خَيرٌ مِن حَياةٍ عَلى رَغمِ[56]

أما في الشطر الثاني من حياته، وهي الفترة التي عاشها وهو مسلم، وقد حسن إسلامه وظهرت دعوة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– واضحةً جليةً في عادات وأخلاق المسلمين ومنهم هذا الشاعر الذي ظهرت آثار الإسلام في سلوكه فتوقف عن أعمال الغزو والإغارة والنهب، وتوقف عن الأخذ بالثأر؛ بل ظهرت آثار الدعوة الإسلامية في شعره أيضًا فتغيرت موضوعات شعره، فقد عزف عن أحاديث الفقر والتصعلك ورفاق الماضي، ولكنه تحدث عن حزنه الشديد على ساقه التي نهشتها حيَّةٌ بأخرة من عمره، والتي طالما أسعفته في الخلاص من أعدائه المتربصين به [57]، فيقول:

لقد أهلكت حية بطن أنف على الإخوان ساقا ذات فضل
فما تركت عدوا بين بصري إلى صنعاء يطلبه بذحل

فالقيم المقلوبة عنده من سطوٍ وفتكٍ وتصعلكٍ التي ظن أنها شجاعة وأخذ بالثأر، قد هذبها الإسلام وعدَّلها، وأشاع في نفس هذا الصعلوك الهدوء والصبر والتمسك بالحق والعدل، والامتناع عن التعدي والظلم وقطع الطريق والحق والجهل وغير ذلك، ومن الدلائل على ذلك أن أخاه أو ابن عمه زهير بن العجوة قُتِلَ يوم حنين على يد جميل بن معمر فلم يفعل شيئًا سوى رثائه له وتفجعه عليه وذِكْرِهِ لشمائله كالكرم الفياض والشجاعة وإكرام الضيف دون أن يهدد أو يتوعد، بل إنه قال في آخر الأبيات التي رثاه بها إنه غير قادرٍ على المطالبة بثأره أو النهوض لقتل قاتله، وذلك لأن ظروف الحياة وقوانينها تغيرت واختلفت عن أيام الجاهلية، وقد ساد العدل ووجوب الأخذ بالحق، وشَبَّهَ قواعد الدين الجديدة والحدود التي شرعها الله عز وجل بالقيود والسلاسل التي أحاطت بالرقاب، فقد قيدته هو وأمثاله من الصعاليك والفتَّاك ممن كانوا يتصفون بالطيش، فصاروا كأنهم شيوخ محنكون لا يستثارون ولا يستفزون بل يتريثون، ويتأنون، ويتحلون بالصبر الجميل[58]؛ فيقول:

([56]) ديوان الهذليين، مصدر سابق، 127/2.
([57]) الأغاني، مصدر سابق، 150/21، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص18.
([58]) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ،ص18، 19.

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مـالك ولكن أَحَاطَتْ بِالـرِّقَابِ السَّلَاسِلُ

وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بقائل وسوى الْعَدْلِ شَيْئًا فَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ (59)

ومن الصعاليك أيضًا الذين تغيرت القيم عندهم جريبة بن الأشيم الذي كان في الجاهلية أحد شياطين الإنس، وكان من أعتى فُتَّاك بني أسد، وكان يغير على القوافل، فلما هداه الله للإسلام حسنت سيرته واستقام وعدل عن الإغارة والنهب، وأعلن في شعره أنه آمن وابتعد عن كل شر؛ فيقول:

بُدِّلت دينًا بعد دين قَدُمْ كنتُ من الدِّين كأني حُلُمْ

يا قيَّم الدين أَقِمْنَا نستقيم فإن أصادف مأثمًا فَلَم أُلِمَ (60)

ومثله الصعلوك يزيد بن الصقيل العُقَيلي والذي كان لصًّا متمكنًا مشهورًا في بادية الحجاز يسرق الشاة والبعير ويتلصص وينهب ويطلب فيهرب وظل على هذا الحال حتى مربه جيش كان عثمان بن عفان –رضي الله عنه– قد وجهه إلى الشام فراجع نفسه وأخلص التوبة لما أبصر الجيش وسار مع الجيش وقتل في سبيل الله، ومن شعره الذي كتبه قبل استشهاده قوله الذي أعلن فيه أنه تاب إلى الله واستغفر لنفسه كذلك:

أَلا قُل لِأَربابِ المَخائِضِ أَهمِلوا فَقَد تابَ مِمّا تَعلمونَ يَزيدُ

وَإِنَّ اِمرِأً يَنجو مِنَ النارِ بَعدَما تَزَوَّدَ مِن أَعمالِها لَسَعيدُ

إِذا ما المَنايا أَخطَأَتكَ وَصادَفَت حَميمَكَ فَاعلَم أَنَّ ستَعودُ (61)

ومن هؤلاء التائبين الذين تخلو عن القتل والسلب الصعلوك الأحيمر السعدي الذي كان سيفه يهدد التجار وقوافلهم، فقد أعلن توبته وترك أعمال القتل والسلب التي كانت فخرًا له في الجاهلية بعد أن انخرط في الدين الجديد وطابت نفسه، فيقول:

يعيرني الإعدام والبدو معرض وسيفي بأموال التجار زعيم (62)

([59]) ديوان الهذليين، مصدر سابق، 151/2.

([60]) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1- ١٤١٧ه -١٩٩٦م، 210/4.

([61]) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: محمد بن أبي بكر التِّلمساني، تحقيق وتعليق: محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، ط1- ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، 398/1.

([62]) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ت: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط1- ١٤١١هـ ١٩٩١م، ص43.

وكان يستبشر إذا ما سمع نهيق حمار زعيم لأنه يؤذن باقتراب التجار حيث يقول:

نَهَقَ الحِمارُ فَقُلتُ أَيمَنُ طائِرٍ إنَّ الحِمارَ مِنَ التِجارِ قَريبُ [63]

ثم تأثر بالدين الجديد وتاب فلم يُخفِ حنينه إلى عادةٍ من العادات الذميمة التي سيطرت حياته، ولكنه مع هذا الحنين مُصِرٌّ على التوبة بل وينصح الصعاليك أن يسلكوا طريق التوبة [64]؛ فيقول:

أشكو إلى الله صبري عن رواحلهم وما ألاقي إذا مرّوا من الحَزَنِ
قل للصوص بني اللَّخْناء يَحْتسِبوا بَزَّ العراق وينسَوْا طُرْفةَ اليمن
فربَّ ثوبٍ كريم كنت آخُذُهُ من التِّجار بلا نقد ولا ثمن

ومن التائبين أيضًا من الصعاليك عبدة بن الطبيب الذي أسلم وتحول من فاتكٍ وقاطعٍ للطرق إلى مجاهدٍ في سبيل الله مع الجيوش الإسلامية، فتحولت قيمه المقلوبة إلى قيمٍ وأفعالٍ سامية؛ فقد شهد مع المثنّى بن حارثة قتال هرمز سنة 13هـ، وله في ذلك آثار مشهورة، وكان في جيش النعمان بن مقرن الذي حارب الفرس بالمدائن [65].

ثانيًا: أثر القيم المقلوبة على الصعاليك في العصر الأموي وصدر الإسلام:

من الصعاليك المخضرمين من أعرض عن أعمال الغارات والنهب مثل أبي خراش وجريبة بن الأشيم ويزيد بن الصقيل كما سبق وذكرنا، أما بعد ذلك فنحن نجد السيرة الخاصة ببعض الصعاليك الذين عاشوا في صدر الإسلام مذكورٌ فيها عدم استقامة سلوكهم، فلم يتعمق الإسلام نفوسهم، ولم يتغلغل في قلوبهم. وقد قسَّمهم الدكتور حسن عطوان إلى فريقين؛ وهما: فريقٌ جنح عن النهب والإغارة، ولكن ظلَّ فيهم شرٌّ. ويمثل هذا الفريق أبو الطمحان القيني وفضالة بن شريك، أما أبو الطمحان، فمعروفٌ أنه كان صعلوكًا يسرق الإبل في الجاهلية، وكانت قبيلته قد خلعته وطردته لسوء أخلاقه، فكان من طائفة الصعاليك الخلعاء، وقد استجار بأكثر من قومٍ ولكنه كان لا يستقر به المقام في قومٍ؛ فكان كلما حلَّ

(63) الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، 775/2-

(64) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، مصدر سابق، ص43، وانظر: المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، أحمد سليمان مهنا، إشراف أ. د. نبيل خالد أبو علي، رسالة ماجستير بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية- غزة، 1428هـ- 2007م، ص10، 11.

(65) المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، المرجع السابق، ص11.

في قومٍ ارتكب فيهم ما يحملهم على التحلل من إجارتهم له والتكفل لحمايته، فإذا هو يستخف بالحياة ويستهين بالموت ويقذف نفسه في المهالك، حتى عاتبته زوجته في غاراته ولامته على ركوب الأهوال والمخاطر[66]، حتي نظَّمَ أبياتًا يصيح فيها في وجه زوجته قائلًا:

لَو كُنتُ في ريمانَ تَحرُسُ بابَهُ أَراجيلُ أَحبوشٌ وَأَغضَفُ آلفُ

إِذَن لَأَتَتني حَيثُ كُنتُ مَنِيَّتي يَخُبُّ بِها هادٍ بِأَمرِيَ قائِفُ

فَمِن رَهبَةٍ آتي المَتالِفَ سادِراً وَأَيَّةُ أَرضٍ لَيسَ فيها مَتالِفُ

ويظهر لنا أن هذا الصعلوك كفَّ عن الإغارة بعد إسلامه، فإن القدماء لم ينبئونا بشيءٍ منها في الإسلام، وإنما أخبرونا بأن كان خبيث الدين في الجاهلية وفي الإسلام، وخبثه في الجاهلية نعرف منه أطرافًا تتعلق بانحرافه الخلقي واحترافه للسرقة، وأما خبثه في الإسلام فيقال: إنه يتصل بضعف عقيدته وفسادها، فقد نقل عنه القدماء بيتين أنشدهما في آخر عمره يتفجع على شبابه ويجزع من شيبه دون أن يؤمل الخير وحسن العاقبة في الآخرة، فكأنهم رأوا في ذلك مظهرًا من مظاهر ضعف عقيدته [67]؛ فيقول:

حَنَتني حانِياتُ الدَهرِ حَتّى كَأَنّي خاتِلٌ يَدنو لِصَيدِ

قَرِيبُ الْخَطوِ يَحْسِبُ مَنْ رَآنِي وَلَسْتُ مُقَيَّداً أَنّي بِقَيْدِ

كذلك نقلوا عنه بيتين آخرين يبدو أنه هتف بهما في آخر أيامه معلنًا فيهما حرصه على التهالك على الملاهي قبل أن يموت؛ فيقول:

أَلا عَلِّلاني قَبلَ نَوحِ النَوائِحِ وَقَبلَ ارتِقاءِ النَفسِ فَوقَ الجَوانِحِ

وَقَبلَ غَدٍ يا لَهفَ نَفسي عَلى غَدٍ إِذا راحَ أَصحابي وَلَستُ بِرائِحِ [68]

ورزي له بيتان آخران يجتر فيهما ذكرياته الماضية، وكيف كان يحترس من المعاطب حتى إذا أمن خطرها انقض على ما يريد انقضاضًا؛ فيقول:

([66]) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي: حسين عطوان، ص22، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص 35، و309 و318.

([67]) الحماسة: الوَليد بن عُبَيد البُحتري، ت: محمَّد إبراهيم حُوَّر وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1- ١٤٢٨ ه ٢٠٠٧م، ص400، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، مرجع سابق، ص22، 23.

([68]) الحماسة: أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، برواية أبي منصور الجواليقي، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1- ١٤١٨ ه 1998م، ص239.

يا ربّ مَظلَمَةٍ يَوماً لَطِيتُ لَها تَمضي عَلَيَّ إذا ما غابَ نُصاري

حَتّى إذا ما اِنجَلَت عَنّي غَيابَتُها وَثَبتُ فيها وثوبَ المخدرِ الضاري [69]

ومن الصعاليك الذين بقيت القيم المقلوبة عندهم وبقي عندهم من رواسب الصعلكة في الجاهلية الشاعر فضالة بن شريك الذي وصفه الرواة بأنه كان شاعرًا فاتكًا صعلوكًا مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام، وقد اختفت أشعاره في الجاهلية [70]، ويرجع الدكتور يوسف خليف أن هذه الظاهرة ترجع إلى مكانة ابنه فاتك بن فضالة بن شريك، فقد كان سيدًا جوادًا وممدحًا، كما حظي بمركزٍ ممتازٍ عند بني أمية لأنه ظاهرهم على مصعب بن الزبير بالعراق. ولكن أشعاره الإسلامية التي وصلت إلينا تُظهِر أنه كان سيء الخلق متسرعًا إلى الشر، ولا يظهر من أشعاره الإسلامية أنه كان متسمرًا في الغزو والنهب وإنما ظهر عليه هجاءه المقزع، فقد وزَّعَ هجاءه على غير واحدٍ، دون مراعاةٍ للحياة الجديدة التي كُرِهَ فيها الهجاء ووُجِدَ فيها العفاف والنبل، وكان الخلفاء فيها ينهون ما يثير في النفوس العداوات، ومن ذلك الهجاء، فقد مرَّ بعاصم بن عمر بن الخطاب، وهو مقيم بإحدى بوادي المدينة فنزل به هو وأصحاب به، وعرفوه مكانهم، فلم يقرهم شيئًا، ولا بعث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ من الهبات، فارتحل عنه مغيظًا مخنقًا، والتفت إلى مولى لعاصم، فقال له: قل له: "أما والله لأطوّقنك طوقًا لا يبلى"[71]، وأخذ يهجوه هجاءً فاحشًا منذ قوله:

ألا أيّها الباغي القرى لست واجداً قراك إذا ما بت في دار عاصم

ذا جئته تبغي القرى بات نائماً بطيناً وأمسى ضيفه غير نائم

فدع عاصماً أفٍ لأفعال عاصمٍ إذا حصل الأقوام أهل المكارم

فتىً من قريشٍ لا يجود بنائلٍ ويحسب أن البخل ضربة لازم

([69]) غرر الفوائد ودرر القلائد، المعروف بأمالي المرتضى: الشريف المرتضى العلوي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط1- ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م، ص 86، 260/1.

([70]) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، حسين عطوان، ص24.

([71]) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص24، وانظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: جمال الدين ابن منظور، ت: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ط1- ١٤٠٢ هـ ١٩٨٤م، 270/20.

وهذا الهجاء هو امتدادٌ للقيم والعادات الجاهلية، وفقًا لمذهب الصعلكة الذي آمن به، وأوقف حياته من أجله [72]. وقد هجا فضالة بن شريك أيضًا رجلًا كوفيًّا تزوج امرأةً وسأل في مهرها، كما هجا معه أهلها الذين ارتضوه زوجًا لها مع أنه فقير ضعيف ذليل، لا يقدر على إعالتها ولا يفيد في الشدائد، يقول:

أنكحتم لا فتى دنيا يعاش به ولا شجاعًا إذا انشقت عصا الدِّين [73]

فهو يرغب في فرض وجهة نظره على الناس ويتعرض لهم مبتغيًا أن يسيِّرهم كما يحب، وأن يُخضِعَهم لما يؤمن به من المُثُل التي يُخضِع نفسه لها وفقًا لمذهب الصعلكة؛ فهو يريدهم أن يختاروا لابنتهم رجلًا تتمثل فيه صفات الصعلوك من حيث الفتك الذي يعده هو بطولة، والابتعاد عن سؤال الناس، وكسب الرزق بالقوة.

ويتضح لنا أن أبا الطحان القيني وفضالة بن شريك يمثلان الصعاليك الذين أقصروا بعد إسلامهم من التصعلك القائم على الإغارة والغصب، ولكنهما ظلا في اعوجاجٍ وعدم استقامة، فقد ظل أبو الطمحان رقيق الدين، جازعًا من الموت، عاكفًا على الملذات، مردِدًا لذكريات الشباب، ذكريات تربصه وغزوه وسلبه، فهو يشتاق لهذه الأيام التي انقلبت فيها القيم، أما فضالة بن شريك فظل في نفسه شرٌّ كثير، وظلت آثار الصعلكة مسيطرة عليه موجهة له، وظل متقلبًا يهجو ويمدح وإن كان الهجاء قد غلب عليه، وهو هجاء أفحش فيه، وصبه على من أساء أو أحسن إليه[74].

أما الفريق الثاني من الصعاليك المخضرمين الذين لم يتأثروا بالإسلام ومبادئه وقيمه أي تأثر؛ فقد استمروا في السرقة والنهب والغزو والإغارة وكانوا يعللون هذه الأفعال بحاجتهم وفقرهم وعجزهم عن إعالة أبنائهم، وهذا دليل على استمرار القيم المقلوبة عندهم، فيعدّون السلب والنهب وسيلة لسد الحاجة والتخلص من الفقر [75]، ومن هؤلاء الصعاليك فرعان بن

([72]) الصعاليك في العصر الأموي، محمد رضا مروَّة، ص25.
([73]) جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البَلَاذُري، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1-١٤١٧هـ ١٩٩٦م، 345/6.
([74])الصعاليك في العصر الأموي ،محمد رضا مروة ، ص26.
([75]) المصدر السابق ،الصعاليك في العصر الأموي، ص26.

الأعرف التميمي، الذي كان يغير على الناس وما يملكون من إبل في الجاهلية بعد أن أسلم؛ فيقول [76]:

يَقُولُ رِجالٌ إنَّ فُرْعـانَ فاجِرٌ وَاللهُ أَعْطَــانِي بَنِيَّ ومالِيا
فأَرْبَـعَةً مِثْلَ الصُّقُورِ، وَأَرْبَعاً مَرَاضِيعَ، قد وَفَّيْنَ شُعْثاً ثَمانِيا
إذا اصْطَنَعُوا لا يَخْبَؤون لغائِبٍ طَعَاماً، ولا يَرْعَوْنَ مَنْ كان نائيا

ومن الصعاليك المخضرمين الذين استمروا في التربص بالناس وقطع الطرق عليهم والتمادي في قيمه المقلوبة حيث كان ينقض على الناس ويسلب أموالهم، الصعلوك شبيب بن كريب الطائي؛ فقد كان يصيب الطريق في خلافة علي بن أبي طالب، ولما انتهى أمره إليه وعلم أنه يقطع الطرق على مشارف الكوفة، بعث إليه أحمر بن شميط العجلي، وأخاه في فوارس [77]؛ فيقول [78]:

ولما أن رأيت ابني شميطٍ بسكة طيــئٍ والباب دوني
تجللت العصا وعلمت أنــي رهيــن مـخيسٍ إن أدركوني
ولـو أنـظرتهم شيئا قليلا لساقوني الى شيخ بطــين

فهو يصف كيف أنه أبصر متعقبيه على أبواب الكوفة، فحينها ركب فرسه وفرَّ ناجيًا من العقاب الذي كان سيلقاه في سجن المخيَّس [79].

لكن الدراسات المتصلة بالقيم المقلوبة وهذا الفريق من الشعراء الصعاليك أخباره قليلة، لكن لوحظ اشتراكهم في الحياة السياسية وانحيازهم لفريقٍ ضد فريق، ولوحظ أيضًا ضعف الحركة الخاصة بالصعلكة ضعفًا شديدًا في عصر صدر الإسلام لأن الإسلام أزال الأسباب التي تخلق الصعاليك، وسوَّى بين الناس وأعطى كل ذي حقٍّ حقه، وأمام ما صنعه الإسلام وما تغير في الحكم من سمو بذرة حركة الصعاليك، ولم يبق منهم سوى أشخاص معدودين،

([76]) الشعر والشعراء، ابن قتيبة ، ص644.
([77]) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص27.
([78]) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، 1961.
([79]) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص28.

لم يتأثروا بالإسلام، وبقيت الروح الجاهلية مسيطرة على تحركهم حتى في آخر لحظة من لحظات حياتهم [80].

([80]) المصدر السابق ،االصعاليك في العصر الأموي ، ص27، 28.

المبحث الرابع

القيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر العباسي

تمهيد:

كان لظهور الصعاليك في العصر العباسي عدة أسباب منها الاختلال الاقتصادي في العصر العباسي وله عدة مظاهر منها: العنف في جباية الخراج، وزيادة الخراج، وارتشاء بعض العمل واتصافهم بالخيانة، وإنفاق الأموال في سبلٍ لا تفيد الأمة كتجنيد الجيوش للقضاء على المتشردين الثائرين [81].

ومن الأسباب أيضًا التناقض الاجتماعي، وكثرة الفتن والاضطرابات في الدولة العباسية[82]، وقد أدت هذه الأسباب لانتشار الفقر في المجتمع العباسي انتشارًا عمم معظم أبناء الأمة من العرب وغيرهم، وأحدثَ فجوةً بين الأغنياء والفقراء، مما حمل بعضهم على التمرد والسعي لإصلاح أوضاعهم البائسة بشتى الطرق، فمنهم من عمد إلى الشكوى والنقد والهجاء لينتزع الدراهم القليلة من بعض المستويات الميسورة كالوزراء والأغنياء والشعراء الميسورين، ومنهم من لجأ لاستخلاص حقه بالسطو على التجار، والإغارة على الدور، ونهب الأغنياء ممن يتسمون بالبخل، ومنهم من آثر الراحة والسلامة على النقد والتعرض للمكاره ووجد في التطفل وسيلةً لإشباع جوعه عن طريق مشاركة الأغنياء في مآدبهم[83].

أولًا: تطور القيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر العباسي:

بسبب الظروف التاريخية في الدولة العباسية واختلاف التضاريس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اختلف الصعاليك في العصر العباسي عن الصعاليك في العصر الجاهلي والأموي، فقد تفتت القبائل واختلطت بالأعاجم فاختفت الكثير من التقاليد الموروثة، مما أدى بدوره لاختفاء الصعاليك الخلعاء والشذاذ والأغربة السود، وبحكم تحضر البيئة واستقرار العرب وغير العرب في المدن، مما تسبب في اتجاه الصعاليك لوسائل أخرى غير

([81]) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، د/ حسين عطوان، دار الجيل- بيروت، ص12.
([82]) المصدر السابق، ص26، 39.
([83]) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص51.

الغزو والنهب كالهجاء والنقد أو الحيل والخدع في حياتهم[84]، ويرجع هذا الاختلاف لثلاثة أسباب كما ذكرها الدكتور حسين عطوان وهي:

1- انحلال الرابطة القبلية.

2- تغير البيئة الجغرافية.

3- استقرار الصعاليك وارتباطهم بأزواجهم وأولادهم، وبذلك انحلت الروابط القبلية الدموية، فاختفى الصعاليك الخلعاء والسود، وبسبب تغير البيئة الجغرافية وانتقال الصعاليك من الصحراء إلى بيئة متحضرة مستقرة نشأ أكثر الصعاليك العباسيين ومارسوا أعمالهم فيها.

وبذلك اضطروا للبحث عن وسائل تلائم البيئة الجديدة، فلم يعد الغزو والسلب ملائمًا للمجتمع الجديد[85]، وبسبب ارتباط الصعاليك بأزواجهم وأبنائهم نتيجةً لاستقرارهم اختلفوا عن الصعاليك الجاهليين الذين كانوا فرسانًا لا يهابون الموت، فكَرِهَ الصعاليك العباسيون حياة التشرد والمخاطرة والمطاردة والبعد عن الأهل، وهذه الأسباب أدت لتطور حركة الصعلكة في المجتمع العباسي تطورًا اختلفت معه طبقاتهم وتغيرت وسائلهم التي كانوا يصلون بها لأهدافهم، فقد قسَّم الدكتور حسين عطوان الصعاليك في العصر العباسي لثلاث طبقات وهي: طبقة الفقراء المعدمين البائسين، وطبقة اللصوص الثائرين، وطبقة العيَّارين والفتيان والطفيليين. وقد اختلفت وسائلهم من طبقةٍ لأخرى، فالصعاليك الفقراء تغيرت القيم المقلوبة عندهم من السلب والنهب والغزو والأعمال التي كانت توصف بالشجاعة للنقد اللاذع والهجاء المقذع والتشهير والتعريض لكي يكرهوا الوزراء والعمال والتجار والشعراء الميسورين على إجراء الصلات القليلة عليهم حتى يكفلوا لأنفسهم وأولادهم الحياة.

ومنهم أبو فرعون الشاسي، وأبو الشمقمق، وأبو الينبعي، والحمدوني بأنهم هجاؤون، كثيرو الفحش، خبيثو الألسنة، يخوضون في أعراض الناس ويهجونهم شر الهجاء وأرذله وأقبحه عامدين إليه عمدًا، ويعتبرون هذه الأفعال حقًّا لهم لجلب المال [86]، ومن ذلك قول

([84]) رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه للباحث صغر بن غريب عبد الله العنزي تحت إشراف: أ. د. صالح بن سعيد الزهراني 1432/1431هـ، المملكة العربية السعودية- جامعة أم القرى، ص85.

([85]) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص65، 66.

([86]) المصدر السابق، ص67.

أبي فرعون السَّاسي يهجو تاجرًا بالبخل والتقتير، ويعرض به أشد وأوبخ التعريض؛ فيقول [87]:

ولا يريم الدهرَ منْ مكانـهِ أشجعُ منْ ليثٍ على دكانـهِ

لا يطمع السائلُ في رُغفانـهِ أعطاني الفلسَ على هوانـهِ

وقد وصفوا أبا الشمقمق بأنه كان أسلطهم لسانًا وأقبحهم هجاءً، حتى كان الناس يهابونه على اختلاف أقدارهم ومنازلهم، خوفًا من الفحش الذي يتلفظ به وويلٌ لمن كان يسأله شيئًا من الدراهم؛ فقد كان يأخذ في هجائه بل في تقطيه، وقيل: إنه قصد عمر بن مساور، وكان حينها يتقلد بعض أعمال منطقة الأهواز فمدحه فلم يحتفِ به، ولا وصله بصلة فقال يهجوه محقرًا له ومشهرًا به [88]:

أنا بالأهواز جـارٌ لعمر لعظيم زعموا ضـخم الخطر

لا يرى منه علـينا أثرٌ لا يكون الجـود إلا بـأثر

إن تك وِرْقُـك عنَّا عجزت يا أبا حفصٍ فجُد لي بـحجر

يكسر الجَوْزَ به صبياننا وإذا مـا حضرَ اللـوز كُـسِرْ

فقد تغيرت عندهم بعض الأفعال مثل السرقة والنهب والإغارة وغير ذلك من الأفعال الأخرى كقطع الطرق والكثير من الأعمال التي كانوا يعدونها شجاعةً وحقًّا من حقوقهم إلى الهجاء الفاحش الذي يعتبرونه عقابًا لمن لم يكرمهم بالعطايا والمدح الذي يهدف لجلب المال ولا يعد مدحًا مخلصًا، وكذلك تغيرت أعمال السرقة فكان اللصوص منهم يسرقون وينهبون لكن وسيلتهم تغيرت من الإغارة واستخدام السلاح للاعتماد على الحيل والخدع التي يتمكنون معها من التمويه على من يريدون السطو عليه وسرقته، كما وطَّنوا أنفسهم على تحمّل الضرب والصبر على أهوال الحبس وكتمان الأسرار لكيلا يعرف رفاقهم، ولا تكشف عصاباتهم.

([87]) الورقة: محمد بن داود (ابن الجراح)، ت: عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج، دار المعارف- مصر، ط2- 1986م، ص57.

([88]) الوزراء والكتاب: محمد بن عبدوس، ت: مصطفى السقا وجماعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1-1938م، ص232.

وكثر في الصعاليك العباسيين القسم الخاص بالصعاليك الطفيليين وهؤلاء كانوا يسدون جوعهم بالدخول للأعراس والولائم للاستمتاع بطيبات الطعام وما كان غيرهم يستمتع به [89].

ثانيًا: استمرار القيم المقلوبة عند الصعاليك العباسيين:

لا يعني ما تقدم ذكره عن تطور الصعاليك في العصر العباسي واختلاف أنشطتهم واختلاف القيم المقلوبة عندهم أن القيم المقلوبة التي وُجِدَت عند صعاليك الجاهلية وصعاليك العصر الأموي لم تعد موجودة، وأن أعمال الغزو والسلب والنهب وشدة الاستيلاء والإغارة التي كانوا يسمونها شجاعةً ويعدونها من البسالة والصبر وشدة الاحتمال لم تعد موجودة، بل معناه أن الصورة القديمة خفت وكادت أن تتلاشى إلا بعض المظاهر منها التي تلقانا في الحين بعد الحين، وهي مظاهر كان الشعراء الذين يمثلونها من الصعاليك المخضرمين الذين عاشوا في العصر الأموي وامتد العمر بهم حتى عاشوا في العصر العباسي، وإما من العرب ومواليهم الذين تمسكوا بإقامتهم في البوادي، وإما من العرب الذين انتقلوا إلى الحواضر، لكن حب المخاطرة والميل إلى القتال لم يزل يتملك من قلوبهم ويوجه سلوكهم.

وقد قسَّمهم الدكتور حسين عطوان إلى ضربين؛ هما:

أولًا: ضرب استمر في الإغارة والغزو.

ثانيًا: ضرب ارتفع بعض الشيء عن التعرض للناس والاعتداء عليهم وانضم إلى بعض العمال الذين كان يرى فيهم صورةً للبطولة، والذي سحرته هممهم العالية وانتصاراتهم الباهرة فعاش يغنيهم ويتغنى معهم ببطولاتهم ويشارك معهم في بعض المعارك التي كانوا يخوضونها ضد من يعبثون بأعمالهم أو الخارجين عليهم [90].

ومن هؤلاء الصعاليك الذين استمروا في قطع الطرق على الناس، الشاعر الفارس جعفر بن عُلبة الحارثيّ، وكان فارسًا مذكورًا في قومه وعاش في نجد، وكان معروفًا بسوء السلوك، فكان يشرب ويلهو ولا يرى في ذلك عيبًا يشينه ما دام يتصف بسداد الرأي وصحة العزيمة والصبر على الشدائد والأهوال، أما العيب الحقيقي عنده فهو دناءة الأصل وشحة

([89]) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص69.
([90])الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص70.

النفس وضعف الإرادة، فله وجهة نظر في القيم تختلف عن المتعارف عليه، وقد شرب يومًا حتى سَكِرَ فحبسه السلطان [91]، فأنشد أبياتًا يقول فيها [92]:

لَقَدَ زَعَمُوا أني سَكِرْتُ ورُبَّما يكونُ الفتى سكرانَ وهو حليمُ

لَعَمْرُكَ ما بالسُّكْرِ عارٌ على الفتى ولكنَّ عارًا أن يُـقَالَ لَـئِيمُ

وإن فَتـىً دامت مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ على دون ما لاقيتُهُ لَـكَرِيمُ

وكان ينحو في حياته نحو الصعاليك الجاهليين من الإغارة والسلب والنهب، وكانت له عصابة تشاركه في غزواته، ورُوي له أبيات تصور مغامرته التي أغار فيها على بني عقيل مع رفيقين له، وقد أحس العقيليون بهم، وخرجوا للقائهم وتربصوا بهم، ووضعوا عليهم الأرصاد في المضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم أخرى حتى انتهوا إلى بلاد نهد، فرجع عنهم العقيليون، وقد قتل منهم كثيرون، وفي ذلك يقول مصورًا إغارته الفاشلة وتتبع العقيليين له ولرفيقيه، ونجاتهم منهم وفتكهم بهم [93]:

وسائلة عنا بغيب وسائل بمصدقنا في الحرب كيف نحاول [94]

عشية قرى سحبل إذ تعطفت علينا السرايا والعدو المباسل [95]

ففرج عنا الله مرحى عدونا وضرب ببيض المشرفية خابل

إذا ما قرى هام الرؤوس اعترامها تعاورها منهم أكف وكاهل

إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا بأيماننا بيض جلتها الصياقل [96]

ولما أبوا إلا المضيَّ وقد رأوا بِأنْ ليس منَّا خِشْيَةَ الموتُ ناكلُ [97]

حلفتُ يمينًا بَرَّةً لم أُرِدْ بِهَا مقَالة تسْمِيعٍ ولا قولَ باطِلِ [98]

لَيَخْتَضِمنَّ الهندوانيُّ منهمُ مَعَاقِدَ يخشاها الطبيبُ المُزاولُ [99]

([91]) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ، ص70.

([92]) الأغاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصفهاني (356هـ)، دار الكتب المصرية، ص13: 45.

([93]) الأغاني، ص13: 48

([94]) المصدق: الجد والصلابة، ورجل ذو مصدق: أي صادق الحملة يقال ذلك الشجاع.

([95]) قرى وسحبل: موضعان في ديار بني الحارث بن كعب. تعطف: كر. السرايا: جمع سرية، وهي الطائفة من الجيش. الباسل: الشجاع الشديد.

([96]) البيض: السيوف: جلا السيف: شحذه، والصياقل: جمع صيقل: وهو شحاذ السيوف وجلاؤها.

([97]) الناكل: الجبان.

([98]) التسميع: التشهير والتشنيع.

([99]) اختضم: قطع.

وقالوا لنا ثنتــان لا بد منهما صدورُ رماحٍ أشْرِعَتْ أو سَلاسِلُ

فَقُلْنَا لَــهُم تِلْكُم إذًا بعد كَرَّةٍ تُغَادِرُ صرعى نَهْضُها مُتَخَاذِلُ

وقتلى نُفُوسٍ في الحياة زهيدةٍ إذا اشْتَجَرَ الخَطِّيُّ والموتُ نازلُ (100)

واستمر حاكيا كذلك إلى أن قال:

نَرَاجِعُهُم في قَـالَةٍ بدأوا بــها كما راجع الخصمَ البذي المُنَاقِلُ (101)

لهم صدر سيفي يوم بطحاء سَحْبلٍ وَلي منهُ ما ضمّتْ عليه الأناملُ

وهؤلاء الصعاليك اللصوص في العصر العباسي كانت لهم تشكيلات وحركات على درجةٍ عاليةٍ من التنظيم والدقة، وكان هذا التنظيم يتخذ شكل العصابات التي تنتشر في المدن والتي كان يقوم أفراد كل عصابةٍ منها بعملٍ بعينه، وكلن لكل فردٍ منهم دورٌ ينهض به، ولمسوا سوء الأحوال الاجتماعية لوعيهم الشديد بالنظام السياسي والاقتصادي لمواجهة عوزهم الذي يهدد بقاءهم وكان الزعماء الحُذَّاق الذين يقودون تلك العصابات يخططون لهم ويدربونهم على احترف هذه المهنة وفن تعاطيها (102)، وكان لهم مساعدون يراقبون الأماكن التي يريدون السطو عليها. ومن كبار الزعماء في هذا المجال، الزعيم عثمان الخياط الذي يخطب فيهم من قبيل التوجيه والإرشاد ويضع لهم التعليمات التي تساعدهم في التلصص باحتراف، وكان يحسِّن لهم مهنة التلصص، فكان يقول: "لم تزل الأمم يسبي بعضها بعضًا ويسمون ذلك غزوًا وما يأخذونه غنيمةً، وذلك من أطيب الكسب، وأنتم في أخذ مال الغدر والفجرة أعذر فسموا أنفسكم غزاة كما سمى الخوارج أنفسهم شراة"(103).

فانظر كيف يبرر لما يفعل من تلصص ويضرب المثل بمن كانوا يأخذون أموال غيرهم بسبب السبي، وهم يأخذون من الفجرة، فهم أولى وهم أصحاب عذر.

وانظر إلى انقلاب القيم في ذلك؛ إذ يدعوهم لتسمية أنفسهم غزاة، فيعد التلصص والسرقة وعمليات السرقة كالغزوات واللصوص الذين يقومون بهذه العمليات غزاة.

(100) جعفر بن علبة الحارثي، أخباره وما تبقى من شعره: عليّ ارشيد المحاسنة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 13 عدد2، ص 276.

(101) البذي: القبيح المفحش. المناقل: الذي يتحدث مع غير ويراجعه.

(102) رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص87.

(103) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1999، 209/2.

المبحث الخامس
الأسلحة التي ساعدت الصعاليك في غاراتهم وأسهمت في انقلاب قيمهم

تمهيد:

كانت الحياة في شبه الجزيرة العربية ملزمة للناس بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لأي مغامرةٍ قتالية فكان حمل السلاح شيمة العرب في شبه الجزيرة العربية، وكان السلاح المعنوي كالجرأة وقوة النفس والشجاعة وغير ذلك، وإذا كان حمل السلاح ملازمًا للعربي في السلم أو الحرب، فحريّ بالصعلوك الذي يعيش الحياة معتمدًا فيها على المغامرة والغارات والسطو وقطع الطرق أن يتسلح بالأسلحة التي تجعله يقوم بدوره ويعطيه الدليل على أن ما يقوم به إنما هو حق له –من وجهة نظره– ومن تلك الأسلحة:

1– السيف:

وهو السلاح الأول الذي كان يحمله كل عربي ولا يتخلى عنه، فكان السيف هو الأساس، أما غيره من الأسلحة فتعد إضافية بالنسبة إليه [104]، أما السيف فهو ملازم للفرد العربي في الحرب والسلم، وهو أول ما يستعمله العربي في الحرب، وقد تغنىّ كثيرٌ من الشعراء عن السيف وأخص منهم الصعاليك، فلا يكاد شاعرٌ منهم لم يحدث عن السيف بصورٍ مختلفة؛ فهذا الشنفرى يقول [105]:

إذا فَزِعوا طارَت بِأَبيَضَ صارِمٍ وَرامَت بِما في جَفرِها ثُمَّ سَلَّتِ

ويتحدث عروة بن الورد عن بياض سيفه الذي لا يملك غيره وغير درعه ومحفزه؛ فيقول [106]:

وَمالِيَ مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحدِيدِ صَقِيلُ

وهذا عمرو بن براقة لا يرضى لسيفه الأبيض مكانًا حين يضرب إلا الجماجم [107]؛ فيقول [108]:

([104]) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، دكتور عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص216.
([105]) المفضليات، الضبي، مطبعة دار المعارف، ص111.
([106]) العمدة لابن رشيق، مطبعة السعادة، 35/2.
([107]) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص217.
([108]) الأمالي، أبو علي القالي، مطبعة السعادة، 199/2.

فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الخفاف الجماجم

وأما قيس بن الحدادية، فيجعل سيوفهم البيض هي كل ما يقدمونه من مهرٍ ليستحلوا بها نساء أعدائهم، وذلك حين يصبحن أسيرات بهذه السيوف؛ فيقول [109]:

لَقَد عَلِمَت أَفنـاءُ بَكرِ بنِ عامِرٍ بِأَنّا نَذودُ الكاشِحَ المُتَزَحزِحا

وَأَنّا بِلا مَهرٍ سِوى البيضِ وَالقَنا نُصيبُ بِأَفناءِ القَبائِلِ مَنكَحا

2- السهم:

القوس والسهم سلاحان ملازمان للصعلوك، لأن الصعاليك يعتمدون على طريقة الترصد والهجوم والدفاع الفردي يحتاج إلى سلاحٍ بعيد المدى كالسهم، بحيث لا يضطره إلى الاصطدام المباشر مع أعدائه أو ضحاياه.

ونجد شعرهم يتحدث كثيرًا عن السهم [110]، ويصور أهميته في حياتهم وتحقيق ما يهدفون إليه من أغراض، ويذكر في هذا الأمر ما يقوله صخر البغي عن سهامه ووصفه لها بأنها ترسة الحصين الذي يرد عنه متوعديه؛ فيقول [111]:

إنّي سيَنهَى عنّي وَعيدَهمُ بِيضٌ رِهابٌ ومُجْنأٌ أُجُدُ

وهذا الشنفرى يتحدث عن أهمية السهام للصعلوك؛ فهي الحاجز المنيع بينه وبين أعدائه، فيقول إنه يحمل منها دائمًا ما يستطيع حمله، ويصف صديقه تأبط شرًّا بأنه يحمل دائمًا جعبة فيها ثلاثون سهمًا، وهي أسهم مهيأة للإطلاق فور إحساسهم بأول خطرٍ؛ فيقول [112]:

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفًا إذا آنست أولى العدى اقشعرت

وتأتي العدا بارزا نصف ساقها تجول كعير العانة المتفلت

إذا فزعوا طارت بأبيض صارم ورامت بما في جفرها ثم سلت

([109]) الأغاني: الأصفهاني، 144/14.

([110]) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص222.

([111]) ديوان الهذليين، السكري، مطبعة دار الكتب المصرية، 59/2

([112]) ديوان الشنفرى: جمع وتحقيق وشرح دكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، ط2- 1417ه 1996م، ص36، وانظر المفضليات، ص111، والسيحف: السهم العريض النسل.

3- الرمح:

لم يكن حديثهم مستفيضًا عن الرمح لأن الرمح من الأسلحة المستخدمة غالبًا في الحروب، ولكن الرمح ليس مقصورًا على الحروب، بل يستعمل في الصيد، والصيد لازم لحياة الصعاليك؛ فهو من الحاجات الضرورية لطعامهم، فنجد عروة بن الورد يصف رمحه بأنه دائم الغلبة والنصر [113]؛ فيقول [114]:

وذي أمل يرجو تراثي، وإن ... ما يصير له منه غدًا لقليل
وَمالِيَ مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ ... وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ
وَأَسْمَرُ خَطِّيُّ الْقَناةِ مُثَقَّفٌ ... وَأَجْرَدُ عُرْيانُ السَّراةِ طَويلُ

4- الخيل:

ارتبطت الخيل بحياة الصعاليك في الصعلكة، فللخيل صفات تميزها عن غيرها من الكثير من الحيوانات والمطايا، وفي ذلك يقول السليك:

كَأَنَّ قَوائِمَ النَحامِ لَمّا ... تَحَمَّلَ صُحبَتي أُصُلاً مَحارُ
عَلى قَرماءَ عالِيَةٌ شَواهُ ... كَأَنَّ بَياضَ غُرَّتِهِ خِمَارُ
وَما يُدريكَ ما فَقري إِلَيهِ ... إِذا مَا القَومُ وَلَّوا أَو أَغاروا
وَيُحضِرُ فَوقَ جُهدِ الحُضرِ نَصّاً ... يَصيدُكَ قافِلاً وَالمُخُّ رارُ [115]

([113]) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص228.

([114]) العمدة، لابن رشيق، وقد نسب الأبيات لعروة بن الورد وأورده خلال التدليل على موضوع التضمين، 35/2، ومنسوبة لعروة في: موسوعة الشعر العربي، لمطاوع صفدي وإيليا حاوي، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ط1- 1947، 179/1

([115]) ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براف: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1- 1996م، ص89، وقد نسب القصيدة لسليك وعددها أربعة أبيات، والأبيات منسوبة لسليك بن السلكة في: موسوعة الشعر العربي، لمطاوع صفدي وإيليا حاوي، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ط1- 1947، 184/1

خاتمة

لقد طوَّق البحث حول موضوعٍ من أهم المواضيع في الأدب العربي، وهو انقلاب القيم المجتمعية عند شعراء الصعاليك، فهي قيم تختلف عن القيم في المجتمع وعند الشعراء من غير الصعاليك. ويتضح لنا من خلال هذا البحث عدة نتائج؛ منها:

– كان الصعاليك يتخذون السلب والإغارة وسيلةً للبذل والعطاء وإنصاف المحتاجين من أموال الأغنياء البخلاء، فكان كرمهم مما يغتنمونه من غزواتهم في أرجاء الصحراء الواسعة.

– الغارة من أهم الأنشطة عند شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.

– استمرت القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك في الجاهلية حتى عصر صدر الإسلام والعصر الأموي.

– استمرت بعض القيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر العباسي واختلف بعضها فتحولت من الغزو والسلب للنقد اللاذع والهجاء والتشهير والتعريض.

– اختلفت الأسلحة التي ساعدت الصعاليك؛ فكان منها المادي ومنها المعنوي.

وفي النهاية، فإن هذا الموضوع له أهميته ودوره في توضيح القيم الاجتماعية عند طبقةٍ مهمةٍ من الشعراء في مختلف العصور وهي طبقة الصعاليك. فما كان من توفيقٍ فمن الله، وما كان من تقصيرٍ فمنِّي ومن نفسي.

والله المستعان

المصادر والمراجع

أولا: الدواوين:

1- ديوان الشنفرى: جمع وتحقيق وشرح دكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، ط2- 1417ه 1996م.
2- ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق: على ذي الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1- 1404ه 1984م.
3- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1- 1418ه، 1998م
4- ديوانا عروة والسموأل، دار صادر، بيروت، ط1-1402ه 1982م.
5- الطرائف الأدبية: صححه وخرجه: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط1- 1937م.
6- المفضليات، الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6- 1964م.
7- الحماسة: الوَليد بن عُبَيد البُحتري، ت: محمَّد إبراهيم حُوَّر وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1- ١٤٢٨ ه ٢٠٠٧م.
8- الحماسة: أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، برواية أبي منصور الجواليقي، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1- ١٤١٨ ه 1998م.
9- ديوان الهذليين: الشعراء الهذليون، ت: أحمد الزين، محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1- 1385ه 1965م.
10- ديوان الشنفرى ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن براف: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1- 1996م.

ثانيا: المصادر والمراجع:

1- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، ت: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1- ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
2- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم) تحقيق وتعليق: السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1- 1965م، 2/.304
3- الأغاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصفهاني دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1412هـ.
4- الأمالي مع كتابي (ذيل الأمالي) و(النوادر): أبو علي القالي، ت: صلاح فتحي هلل، وسيد عباس الجليبي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1- 1422ه 2001م.
5- البيان والتبيين: عمر بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7- 1418ه 1998م.
6- التمرد في الشعر الجاهلي: السيد أحمد عمارة، مطابع غباشة، ط1 ،1411ه 1990ه

7- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: محمد بن أبي بكر التِّلمساني، تحقيق وتعليق: محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، ط1- ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
8- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة، ط3- 1978م.
الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، محمد رضا مروَّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1- 1411هـ، 1990م.
9- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، ت: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط1- 1966م.
10- الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، الدكتور حسن عطوان، دار المعارف، القاهرة، مصر- 1970م.
11- الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول: حسين عطوان، دار الجيل- بيروت، ط1- 1997م.
12- الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم، إعداد محمد رضا مروَّة، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1- 1411هـ، 1990م.
13- العصر الإسلامي: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط7- 1965م.
14- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني الأزدي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5- 1401ه 1981م.
15- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ت: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط1- ١٤١١هـ ١٩٩١م.
16- الورقة: محمد بن داود بن الجراح، ت: عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2- 1986م.
17- الوزراء والكتاب: محمد بن عبدوس، ت: مصطفى السقا وجماعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1-1938م.
18- جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البَلَاذُري، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1- ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، 345./6
19- رسم الأهداف، أبو ذر عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرازق المحمدي، البحث غير منشور إلا بالمكتبة الشاملة المعاصرة.
20- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1- ١٤١٧ه ـ١٩٩٦م.
21- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، دكتور عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1- 1987.
22- عمرو بن بَـرَّاقة الهمداني، سيرته وشعره: شريف راغب علاونة، دار المناهج، عمَّان، الأردن، ط1- 1424ه 2005م

23- غرر الفوائد ودرر القلائد، المعروف بأمالي المرتضى: الشريف المرتضى العلوي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط1- ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
24- لسان العرب: محمد بن مكرم بن ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3-1414ه.
25- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1- .1999
26- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: جمال الدين ابن منظور، ت: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ط1- ١٤٠٢ هـ ١٩٨٤م.
27- مسند الإمام أحمد بن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1- ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
28- موسوعة الشعر العربي، لمطاوع صفدي وإيليا حاوي، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ط1- 1947م.

ثالثا: المجلات والدوريات:

1- الاتجاهات الفكرية في شعر الصعاليك: عماد خليفة سليمان داوود، وعذراء حسين عودة، مجلة الجامعة العراقية، مجلد1، عدد 41، أغسطس عام 2018.
2- الغارة عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية: مراد محمد العمري، وأمل طاهر محمد نصير، مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب، مجلد 10، عدد1، 1998م.
3- المضمرات النفسية والاجتماعية في شعر الصعاليك- تجربة الشنفري نموذجًا-، د. شريف سعاد، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد الرابع، العدد الأول، أبريل 2019م.
4- جعفر بن علبة الحارثي، أخباره وما تبقى من شعره: علي ارشيد المحاسنة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 13 عدد2.

رابعا: الرسائل الجامعية:

1- المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، أحمد سليمان مهنا، إشراف أ. د. نبيل خالد أبو علي، رسالة ماجستير بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية- غزة، 1428هـ 2007م.
2- رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، صغير بن غريب العنزي، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إشراف: أ.د. صالح بن سعيد الزهراني، عام 1431/ 1432هـ.